شرح معاني

القصيدة الدَّاليَّة

«يا زاهدة»

لأبي الشَّتات العروي

القصيدة الدَّالية: يا زاهده

١- أَبَيْتِ رَجُلًا مُتْرَعًا يَا زَاهِدَهْ ... وَكَأَنَّ فِي ٱلْعُزُوفِ سِرَّ ٱلْخَالِدَهْ
٢- هَلْ تَعْلَمِينَ بِأَنَّ عَيْشَ ٱلْوَاحِدِ ... فِي دَهْرِهِ كَٱلصَّخْرَةِ ٱلْمُتَنَاهِدَهْ؟
٣- قَدْ جِئْتُ أَطْرُقُ بَابَ قَلْبِكِ صَادِقًا ... وَأَنَا ٱلْمَلِيكُ عَلَى ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُتَجَدِّدَهْ
٤- لَكِنَّكِ ٱخْتَرْتِ ٱلسَّرَابَ، فَإِنَّمَا ... أَوْهَامُ فِكْرٍ فِي ٱلطَّرِيقِ مُعَانِدَهْ
٥- أَنَا فِي شَبَابِي وَٱلْمَعَالِي زِينَتِي ... وَفَضْلِي كَنَهْرٍ زَاخِرٍ بِفَائِدَهْ
٦- فَلِمَ ٱلتَّصَعُّبُ فِي ٱلزَّمَانِ وَرَفْضُهُ؟ ... أَمْ أَنَّ عِشْقَ ٱلْوَهْمِ كَانَ ٱلْعَائِدَهْ؟
٧- إِنْ كَانَ عَزْمِي فِي ٱلْحَيَاةِ مُرَوَّعًا ... فَلِمَ ٱلتَّعَلُّلُ بِنُفُوسٍ رَاصِدَهْ؟
٨- فَٱسْمَعِي نِدَائِي وَٱرْحَمِي مَنْ جَاءَكُمْ ... بِٱلْحُبِّ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ نَارًا وَاقِدَهْ
٩- رَأَيْتُ فِي ٱلنَّاسِ حَوْلَكِ مَنْ يُشِيدُ ... وَيَمْدَحُكِ فِي كُلِّ مَا هُوَ بَائِدَهْ
١٠- فَتَفْرَحِينَ بِهَذَا فِي دَارِكِ وَتَحْتَسِينَ ... فِي غَفْلَتِكِ عُمْرَكِ فِي طَرِيقٍ سَائِدَهْ
١١- أَمَّا لِي فَقَوْلِي قَاسِيٌ وَمُرَتَّبٌ ... فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لَكِ ٱلنَّفْعَ فِي ٱلْبَائِدَهْ
١٢- فَقَوْلِي لَا يَفْرَحُ ٱلنَّاسُ بِهِ ... وَلَكِنَّهُ فِي صَادِقِ ٱلْقَلْبِ رَائِدَهْ
١٣- فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ فِي قَوْلِي يَجْعَلُهُ ... مُرَاهِقًا لَكِ وَيُدْنِيكِ لِلْمَائِدَهْ
١٤- فَإِنَّ ٱلنَّاسَ فِي مَدْحِهِمْ لَكِ أَحْبَابٌ ... وَفِي قَلْبِهِمْ مَا يُبْدِي مِنَ ٱلزَّائِدَهْ
١٥- لَعَلَّكِ تَسْتَغْرِبِينَ إِصْرَارِي ... وَإِنِّي لَمْ أَرَ وَجْهَكِ يَا رَائِدَهْ
١٦- فَكَيْفَ تَسَامَى شَوْقِي نَحْوَكِ ... وَأَنَا غَرِيبٌ فِي ٱلدَّرْبِ ٱلزَّائِدَهْ
١٧- فَقُلْتُ: مَا قِيلَ عَنْكِ أَسَرَّنِي ... وَجَذَبَنِي أَمَلُ إِلَيْكِ عَائِدَهْ
١٨- رَأَيْتُ فِيكِ ٱلسِّحْرَ يَذْهَبُ ... بَيْنَنَا رَغْمَ ٱلْمَوَاقِفِ ٱلسَّائِدَهْ
١٩- وَلَكِنَّ بَعْضَ ٱلْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ هَوَى ... بَلْ كَانَ جَهْلًا فِي سُبُلٍ رَائِدَهْ
٢٠- فَهَلْ تَرْجِينَ ٱلْوَصْلَ بَعْدَ فِرَاقٍ ... أَمْ تَدْفِنِينَ حُبَّكِ فِي قَلْبٍ بَائِدَهْ؟



شرح معاني القصيدة الدالية

١- أَبَيْتِ رَجُلًا مُتْرَعًا يَا زَاهِدَهْ وَكَأَنَّ فِي ٱلْعُزُوفِ سِرَّ ٱلْخَالِدَهْ

في هذا البيت: يعبِّر الشَّاعر عن رفض المرأة لرجلٍ عميق الشُّعور والإيمان، موضِّحًا أنَّها اختارت الزُّهد عن الدُّنيا والمشاعرِ العميقة. واصفًا نفسَه بـ «المُتْرَع» ليشير إلىٰ الرَّجل الذي يتَّسم بالكمال والشَّرف؛ المُشبَع بالالتزامات. بينما قوله: «زَاهِدَهْ» في الأصل تدلُّ علىٰ المرأة التي تبتعد عن متاع الدُّنيا. والفكرة هنا أنَّ عزوفها قد يُخفي وراءه معنًىٰ أعمق؛ ربَّما لا يُفهم علىٰ الفور. فالشَّاعر يوجِّه إليها عتابًا -مستغربًا من موقفها- كأنَّها تعتبر رفض الزَّواج من المتزوِّج «سرًّا خالدًا» لا يمكن التَّنازل عنه، ممَّا يعكس صرامتها وموقفها الثَّابت الذي لا يقبل التَّغيير.

٢- هَلْ تَعْلَمِينَ بِأَنَّ عَيْشَ ٱلْوَاحِدِ فِي دَهْرِهِ كَٱلصَّخْرَةِ ٱلْمُتَنَاهِدَهْ؟

في هذا البيت: يبيِّن الشَّاعر أنَّ حياة المرأة بمُفردها -بعيدًا عن الرُّفقة والمشاركة- تشبه الصَّخرة التي يتراكم عليها الزَّمن، فتتحجَّرُ وتصبح قاسيةً، فالإنسان اجتماعيٌّ بطبعه؛ ممَّا يجعل الحياة صعبةً ومليئةً بالعثَرات. فمن خلال تساؤل الشَّاعر الاستنكاري يحفِّز المتلقّي علىٰ التَّفكير في عواقب الوَحْدة، ويشبِّه حياة الشَّخص الوحيد بالصَّخرة المُثقلة بالأحزان، ممَّا يعكس ثقل الوَحْدة وقسوتِها؛ ويتبيَّن ذلك بسرعة الانفعال والتأثُّر عند ذكر هذه الأمور.

٣- قَدْ جِئْتُ أَطْرُقُ بَابَ قَلْبِكِ صَادِقًا وَأَنَا ٱلْمَلِيكُ عَلَى ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُتَجَدِّدَهْ

في هذا البيت: يتحدَّث الشَّاعر عن قُدومه بنيَّةٍ صادقةٍ لفتح قلب المرأة، مشيرًا إلىٰ أنَّه مَلِكُ القلوب. ويعبِّر عن نفسه كمخلصٍ، موضِّحًا صدق نواياه في تحقيق التَّواصل الصَّادق وطلب يدها. فشبَّه نفسَه بالملك الذي يمتلك القلوب المتجدِّدة بالحبِّ والوفاء، ممَّا يعكس ثقتَه في نفسه وفي مكانته.

٤- لَكِنَّكِ ٱخْتَرْتِ ٱلسَّرَابَ، فَإِنَّمَا أَوْهَامُ فِكْرٍ فِي ٱلطَّرِيقِ مُعَانِدَهْ

يعبِّر الشَّاعر عن خيبة أمله في اختيار المرأة السَّراب؛ أي: الأوهام الزَّائفة التي لا تمتُّ للواقع بصلة، بدلًا من الارتباط بالشَّخص الصَّادق. فـ«ٱلسَّرَاب» يشير إلىٰ الأشياء التي تبدو جذَّابة؛ ولكنَّها خادعة، ليصف قرارَها بأنَّه لا يحمل أيَّ قيمةٍ حقيقيَّةٍ أو ملموسة. فالشَّاعر ينتقد تمسُّكها بالأوهام، مشيرًا إلىٰ أنَّ تصوُّراتها عن الزَّواج تتمحوَر حول العناد والابتعاد عن مواجهة الحقيقة.

٥- أَنَا فِي شَبَابِي وَٱلْمَعَالِي زِينَتِي وَفَضْلِي كَنَهْرٍ زَاخِرٍ بِفَائِدَهْ

في هذا البيت: يعبِّرُ الشَّاعر عن فخره بشبابه وإنجازاته، مؤكِّدًا أنَّ فضائله تتدفَّق مثل نهرٍ لا ينضب،

أي: أنَّها تزداد وتتَّسع مع مرور الزَّمن. ويُشير إلىٰ أنَّه في أوجِّ قوَّته، وأنَّ القيم والمكارم تزيِّن حياته، ممَّا يعكس صفاته الإيجابيَّة. فهو يشبِّه فضائلَه بالنَّهر الجاري المليء بالخيرات والفوائد، ممَّا يُبرز استحقاقه للتَّقدير والاحترام.

٦- فَلِمَ ٱلتَّصَعُّبُ فِي ٱلزَّمَانِ وَرَفْضُهُ؟ أَمْ أَنَّ عِشْقَ ٱلْوَهْمِ كَانَ ٱلْعَابِدَهْ؟

في هذا البيت: يتساءل الشَّاعر عن سبب تعقيد الأمور ورفضها في الوقت الحالي، علىٰ الرَّغم من جدارته بالقَبول. فهو يشير إلىٰ أنَّ رَفضها قد يكون نتيجة تمسُّكها بأوهامٍ وأفكارٍ غير واقعيَّة، ممَّا يؤدِّي بها إلىٰ خسارةٍ حقيقيَّة، ويشكِّك في جدوىٰ العِشق الذي اختارته؛ وهو عشق الوَهْم.

٧- إِنْ كَانَ عَـزْمِي فِي ٱلْحَيَاةِ مُـرَوِّعًا فَلِمَ ٱلتَّعَلُّلُ بِنُفُوسٍ رَاصِدَهْ؟

الشَّاعر هنا يوضِّح أن عزمه في الحياة قويٌّ ومؤثِّرٌ، ولكنَّه يتساءل عن سبب وجود من يراقبون تحرُّكاته وينتقدونها بدلًا من أن يقدِّموا له الدَّعم. ففي الشَّطر الأوَّل: يعبِّر عن عزيمته الرَّاسخة الَّتي تجعله يظهر كشخص لا يتراجع أمام التَّحدِّيات، ممَّا يُبرر جدارته بالقَبول. أمَّا في الشَّطر الثَّاني: فيعبِّر عن تعجُّبه من تعلُّلها ورفضها بسبب تأثير الآخرين أو مخاوفها من رأي المجتمع.

٨- فَٱسْمَعِي نِدَائِي وَٱرْحَمِي مَنْ جَاءَكُمْ بِٱلْحُبِّ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ نَارًا وَاقِدَهْ

البيت يعبِّر عن دعوة الشَّاعر المرأةَ للاستماع إلىٰ ندائه والرَّحمة بحاله، مشيرًا إلىٰ أن حبَّه قويٌّ كالسَّيف الذي يشتعل بالنَّار. فهو يشير إلىٰ شدَّة مشاعره وصدقها، ممَّا يعكس مدىٰ تأثُّره وحماسه تجاهها.

٩- رَأَيْتُ فِي ٱلنَّاسِ حَوْلَكِ مَن يُشِيدُ وَيَمْدَحُكِ فِي كُلِّ مَا هُوَ بَايِدَهْ

الشَّاعر يلاحظ أنَّ الأشخاص المُحيطين بالمرأة يمدحونَها بشكلٍ مستمر، بلسان الحال أو بلسان المقال؛ ولكنَّهم يفعلون ذلك لأغراضٍ شخصيَّة، حتَّىٰ وإن كان المدح يتعلَّق بأمورٍ زائلة أو غير ذات قيمة. يُشير إلىٰ أنَّ هذه الإشادات ليست إلَّا وسيلةً لتحقيق مصالحهم الخاصَّة، والتَّعبيرُ بـ«بَايِدَهْ» يعكس عدم استمراريَّة أو فائدة هذا المدح في النِّهاية.

١٠- فَتَفْرَحِينَ بِهَذَا فِي دَارِكِ وَتَحْتَسِينَ فِي غَفْلَتِكِ عُمْرَكِ فِي طَرِيقٍ سَايِدَهْ

الشَّاعر يشير إلىٰ أنَّ المرأة تجد سعادتها في المدح الذي يُقدِّمه لها المحيطين بها؛ لكنَّها تغرق في غفلتها ولا تُدرك أنَّها تضيِّع وقتها؛ بل تضيِّع زهرة عمرها في مسارٍ زائل أو خاطئ؛ فالشَّجرة إذا فاتها وقت الإزهار لن تجني منها الثِّمار. فهو يوضِّح كيف أنَّ هذه المدائح تمنحها الفرحَ المؤقَّت؛ لكنَّها في

الحقيقة تُهدر وقتها في خدمة أشخاصٍ قد لا يكون لهم نيَّة صافية. وكلمة «سَايِدَهْ» تشير إلىٰ الظُّروف السَّائدة التي قد تؤدِّي بها إلىٰ الطَّريق الخاطئ.

١١- أَمَّـــا لِي فَقَـــوْلِي قَـــاسِيٌ وَمُرَتِّـــبٌ   فَإِنَّـهُ يَحْمِـلُ لَـكِ ٱلنَّفْـعَ فِي ٱلْبَاإِيـدَهْ

الشَّاعر هنا يوضِّح أنَّ كلماته قد تبدو قاسية في ظاهرها؛ لكن هدفه: مصلحة المرأة علىٰ المدىٰ البعيد، حتَّىٰ وإن كانت النَّصائح صعبة أو غير محبوبة في البداية. فهو يشير إلىٰ أنَّ كلامه قد يُشعرها بالقسوة؛ لكنه يحمل نيةً إصلاحيَّة تهدف إلىٰ مصلحتها في النِّهاية، رغم صعوبة فهم مقاصده في البداية. وقد أُعيدت كلمة «بَاإِيدَهْ» لتأكيد هذه الفكرة.

١٢- فَقَـــوْلِي لَا يَفْـــرَحُ ٱلنَّـــاسُ بِـــهِ   وَلَكِنَّـــهُ فِي صَـــادِقِ ٱلْقَلْـبِ رَاإِيـدَهْ

في هذا البيت: الشَّاعر يوضِّح أنَّ كلماته قد لا تحظىٰ بشعبيَّة أو إعجاب من النَّاس في البداية؛ لكنَّها تأتي من قلبٍ صادقٍ ومُخلصٍ، وتهدف دائمًا إلىٰ المصلحة الحقيقيَّة. يشير إلىٰ أنَّ النَّاس لا يرحِّبون بالنَّصائح الصَّادقة أو الأقوال الحقَّة؛ لأنَّها تخرج عن المألوف بالنِّسبة لهم، وهم غالبًا ما يكونون مشغولين بمصالحهم الخاصَّة. كلمة «رَاإِيدَهْ» استُخدمت للدَّلالة علىٰ التَّوجيه السَّليم.

١٣- فَـــإِنَّ ٱلصِّـــدْقَ فِي قَـــوْلِي يَجْعَلُـــهُ   مُرَاهِقًـــا لَـــكِ وَيُـــدْنِيكِ لِلْمَاإِيـــدَهْ

هنا يوضِّح الشَّاعر أنَّ صدقه في كلامه في الأصل، رغم قسوته، يقرِّبُ المرأة إليه ويكشف لها عن حقيقة مشاعره ورغبته في مصلحتها، كما أنَّ الصِّدق يفتح الطَّريق لتواصلٍ أعمق بينهما. ويُبرز أنَّ قسوة القول تأتي مع نيَّة التَّوجيه والمصلحة الحقيقيَّة. وكلمة «مَاإِيدَهْ» تشير إلىٰ الخير والطَّعام الرُّوحي، موضحًا أنَّ هذه النَّصائح تقدِّم فائدةً حقيقيَّة.

١٤- فَإِنَّ ٱلنَّاسَ فِي مَـدْحِهِمْ لَـكِ أَحْبَـابٌ   وَفِي قَلْـبِهِمْ مَـا يُبْـدِي مِـنَ ٱلزَّاإِيـدَهْ

الشَّاعر يشير إلىٰ أنَّ غالب الأشخاص الَّذين يمدحون المرأة قد يُظهرون المحبَّة، لكنَّهم في الواقع يُخفون مشاعر الزَّيف أو النِّفاق. فالمدح الظَّاهري لا يعكس بالضَّرورة حبًّا حقيقيًّا. فيوضِّح أنَّ المدح الزَّائف لا يحمل قيمةً حقيقيَّةً في النِّهاية؛ لأنَّ هؤلاء الأشخاص لا يراعون المصلحة الفعليَّة. وكلمة «زَاإِيدَهْ» جاءت لتؤكِّد أنَّ هذه المدائح ليست سوىٰ كلماتٍ فارغةٍ بلا مضمون.

١٥- لَعَلَّـــــكِ تَسْــــــتَغْرِبِينَ إِصْرَارِي   وَإِنِّي لَـــمْ أَرَ وَجْهَــكِ يَـــا رَاإِيـــدَهْ

تساؤل: الشَّاعر يبيِّن أنَّ المرأة قد تتساءل عن سبب إصراره واهتمامه بها رغم أنَّه لم يرَ وجهها من قبل، ممَّا يعكِس عُمْق مشاعره وإصراره علىٰ الوصول إلىٰ قلبها.

١٦- فَكَيْــفَ تَسَــامَى شَــوْقِي نَحْــوَكِ وَأَنَــا غَرِيــبٌ فِي ٱلدَّرْبِ ٱلزَّايِـــدَهْ

الشَّاعر يتحدَّث عن شوقه المتزايد تِجاه المرأة، رغم كونه غريبًا في الطَّريق أو في المكان الذي يسلُكه. فهو يعبِّر عن أنَّ مسار الحبِّ قد يكون صعبًا ومليئًا بالتَّحدِّيات.

١٧- فَقُلْــتُ: مَــا قِيــلَ عَنْــكِ أَسَرَّنِي وَجَــذَبَــنِي أَمَــلٌ إِلَيْــكِ عَايِــدَهْ

الجواب: هنا يصرِّح الشَّاعر أنَّ ما قيل عن المرأة أسعده وجذب اهتمامه نحوها. هذا يعكس أثر الكلام الطَّيِّب والمدح الذي سمعه في دفعه للتمسُّك بها، حتَّىٰ وإن كانت هذه الكلمات مجرَّد أمل بعيد.

١٨- رَأَيْــتُ فِيــكِ ٱلسِّــحْرَ يَــذْهَبُ بَيْنَنَــا رَغْــمَ ٱلْمَوَاقِــفِ ٱلسَّــايِدَهْ

الشَّاعر يعبِّر عن القوَّة الجذَّابة التي يشعر بها تِجاه المرأة، وأنَّ هذه القوَّة (السِّحر) تتنقل بينهما رغم المواقف الصَّعبة أو التي قد تبدو عائقًا في العلاقة بينهما، وإن كانت هي تُظهر عدم الاهتمام.

١٩- وَلَٰكِنَّ بَعْضَ ٱلْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ هَوَى بَــلْ كَانَ جَهْــلًا فِي سُــبُلٍ رَايِــدَهْ

فالشَّاعر يوضِّح أنَّ بعض الكلمات التي قيلت لم تكن مجرَّد حبٍّ أو هوىٰ؛ بل كانت ناتجة عن جهلٍ أو عدم فهمٍ للطَّريق الصَّحيح الذي يجب أن يسلكه الطَّرفان.

٢٠- فَهَــلْ تَــرْجِينَ ٱلْوَصْــلَ بَعْــدَ فِــرَاقٍ أَمْ تَــدْفِنِينَ حُبَّــكِ فِي قَلْــبٍ بَايِــدَهْ؟

في البيت الأخير: الشَّاعر يطرح تساؤلًا مهمًّا: هل تأمل المرأة في اللِّقاء والاتِّصال بعد الفِراق، أم أنَّها ستترك مشاعر الحبِّ تموتُ في قلبها وتدفنها؟ وهذا يعكس التردُّد والتَّساؤل حول مصير العلاقة.

الخلاصة الشَّاملة للقصيدة

القصيدة تعبِّر عن مشاعر الشَّاعر في مواجهة امرأة اختارت طريقًا مختلفًا مليئًا بالأوهام والتَّفاخر بالمدح الزَّائف، بينما يظلُّ هو مخلصًا وصادقًا في مشاعره وكلماته، حتَّىٰ وإن كانت قاسية في ظاهرها. فالشَّاعر يلاحظ أنَّ النساء يفرحن بما يقال لهنَّ من مدحٍ ظاهر؛ لكنَّه يدعوهن لالتفات أكثر إلىٰ الصِّدق في العلاقات بدلًا من الانغماس في الأوهام والمظاهر الخدَّاعة.

والشَّاعر أيضًا يعبِّر عن شوقه العميق تجاه هذه المرأة التي لم يلقَ منها إلَّا الفُتور والإهمال، رغم أنَّه ينظر إليها بحبٍّ وإعجابٍ شديدين. ويُبيِّن أنَّ الحقيقة هي أنَّ كلامَه ليس مجرَّد مدحٍ؛ بل هو موجَّه من قلبٍ صادقٍ يهدف إلىٰ مصلحة المرأة، بخلاف الآخرين الذين يمدحون لمصالحٍ شخصية أو دافع عاطفيٍّ مؤقَّت.

فالأبيات تسلِّط الضَّوء علىٰ معاناة الشَّاعر من كون النَّاس يمدحون المرأة من أجل مصلحتهم الخاصَّة، بينما هو يسعىٰ لتوجيه نصائح حقيقيَّة رغم قسوتها، مؤكِّدًا أنَّ كلماته تحمل فائدة طويلة الأمد. والشَّاعر يتساءل في النِّهاية عمَّا إذا كانت المرأة ستختار أن تعيش في أوهامِ المدح الزَّائف أو ستَقبل بالصِّدق الذي يتوجَّه به نحوها، أم ستدفن حبَّها في قلبها كما يفعل الكثيرون.

فالقصيدة بشكلٍ عامٍّ تمثِّل صراعًا بين المظاهر والحقائق، وبين الحبِّ الصَّادق والأوهام. والشَّاعر يعبِّر عن حيرته في فهم تصرُّفات المرأة وتفاعلاتها مع الآخرين، ويقدِّم لها دعوةً للتَّفكير في الأمور بعمقٍ، بدلًا من الاستمرار في ملاحقة السَّراب.

